



ما أجمل أن تقرر القيام برحالة لها طابع المغامرة.. وهي حفأً كانت مغامرة مدهشة إلى مدينة مارع المحررة.. كنا طوال الطريق نشعر بالقلق وبعض الأرق وقبل أن نصل إلى مدينة مارع بـ300م، قال صديقي بعد أن جاءته مكالمة هاتفية: إننا الآن تحت حماية الثوار. كان شعوراً غريباً وملهماً عندما سمعت هذه العبارة. زال القلق بمجرد أن بدأت حماية الثوار لنا من خلال مراقبة دراجتين ناريتين لسيارتنا، لأول مرة شعرت بأنني مفعمة بالحرية وأنا غارقة في تفاصيل بلدة تخلو من صور الدكتاتور الأسد الأب والابن.

مارع هذه البلدة التي اشتغلت بالشجاعة منذ بداية الثورة السورية، يبلغ عدد سكانها 35 ألف نسمة، وحوالي 3000 منزل، يصل عدد المتظاهرين بحدود 3500 متظاهر، أي كل عائلة ممثلة بمتظاهر. من هنا بدأت خصوصية هذه البلدة الراقصة، وخلال حديثنا مع ممثلي تنسيقيات مارع عرفنا مدى تنظيم هذه التنسيقية ومدى تكاتفها وانسجام معظم سكان مارع معها. أكد لنا ممثل التنسيقية "أبو عمر" بأن تشكيل التنسيقية في مدينة مارع كان رد عفوياً لضبط الحراك الثوري. يقول: "في البداية حتى قبل أن نشكل تنسيقية مارع خرج شباب مارع للتظاهر بشكل عفوي دون أي تخطيط مسبق". كان الهدف من إنشاء تنسيقية مارع لتنظيم صفوف الشباب وعدم سماح للمغرضين بأية أعمال تخريبية باسم الثوار في المدينة. وتبليورت فكرة التنسيقيات بعد الحراك الثوري بشهر ونصف. **يؤكد أبو عمر بأن مدينة مارع اعتبرت المحرك الأول لكل مظاهرات الريف الحليبي.**

أما عن الأرضية التي اعتمد عليها شباب مارع لتكون الشرارة الأولى للثورة يقول أبو عمر: "لم نهيء لأية أرضية لأنها كانت موجودة مسبقاً، فما يعانيه ابن مارع هو نفس ما يعانيه ابن درعا أو حمص وأية بقعة سورية من ظلم وقهر. من الطبيعي أن تكون ضمن قافلة الثوار للمطالبة بالحرية وإسقاط النظام".

كما أن مدينة مارع لم تختلف عن باقي المدن السورية بتوزيع منشورات في المدينة وتوعية الشباب من خلال بعض اللقاءات كآليات للبحث عن نقطة الانطلاق. وكان الرأي العام في هذه المدينة جاهزاً مسبقاً من خلال حادثة درعا وهو اعتقال أطفال مدينة درعا، وما لحق الأهالي من إهانة عندما طالبوا جهات أمنية عدة بالإفراج عن أطفالهم.

مارع من المدن القليلة التي شاركت بشكل شامل، وهذا ما لاحظناه ونحن نتجول في المدينة، وأثناء مشاركتنا مع حشد هائل في مظاهرات احتفالية في ساحة المدينة، وكانت هذه المشاركة الأولى لنا، التي خالطتها مجموعة من مشاعر الفرحة والغبطة والدهشة الطفولية – لأول مرة تخرج أصواتنا من داخلنا – كما يخرج التلميذ من بوابة المدرسة بمرح مفاجئ؟ حسب قول أبو عمر بأن هدف التنسيقيات أولاً وأخيراً تنظيم مجالس الأحياء، والإيجابيات التي اتصف بها التنسيقيات استيعاب الجميع بديمقراطية تامة وترسيخ مبدأ الرأي الآخر الفعلي، يقول: "لم يكن هناك رأي مطلق أو قرار نهائي غير قابل للتعديل".

وضرورة التواصل الميداني بدأ بإطلاق التنسيقية مع تصاعد الحراك الثوري وضرورة خروج الشباب إلى الشارع رغم خطورة ذلك. يرى أبو عمر ورفاقه أن العامل الأساسي والمهم للتظاهر اليومي هو كسر حاجز الخوف وأن سقوط النظام الفعلي بدأ مع خروج الشباب اليومي للتظاهر. يقول أبو عمر: "تعنت النظام وعدم اعترافه بمطالب المواطنين لعبت دوراً. وظهر ذلك جلياً من خلال خطابات رأس هرم السلطة القمعية في سوريا (بشار)، إذ كان يطلق القوانين والتشريعات الجديدة ويدعى بأنه كان سيقوم بها بشكل تلقائي بدون تظاهرات، لن نستطيع إغفال تدهور الوضع الاقتصادي، إلى جانب نجاح الثورات العربية التي دغدغت فينا مشاعر الحرية".

وعندما سألنا الشباب عن سلمية المظاهرات وكيفية الإعداد لهذا الجانب الأخلاقي أكدوا أن المواطن السوري تربى على مبادئ وثوابت أخلاقية واعية وثقافة اللاعنف هي فطرية لدى المواطن السوري. أضاف أبو عمر: "كما أثنا استطعنا توزيع مناشير لكل بيت في مارع لوعية الناس على ثقافة اللاعنف".

أما الدور الذي تلعبه المرأة المارعية فهو حقيقة دور جليل لمسته من خلال استقبالهن لنا واحتفالهن بنا لمجرد أننا إعلاميين وأن وجعلنا واحد.. هذه المرأة الشجاعة التي بدأ دورها جلياً من خلال الاقتحامات الأمنية المفاجئة للمدينة، حيث كانت تستضيف كل من يطلب اللجوء للانتخاب في منزلها. اختتم أبو عمر حديثه عن دور المرأة في الثورة: "كانت النساء تساعدن الشباب في إيصال المياه لهم، ومساعدتهم في الاقتراب. وكانت تهرب لجلب البصل؛ لأن هناك مادة في البصل المضاد الأفضل للقتابل المسيلة للدموع، ولا ننسى شحد الهم من خلال الزغاريد ورش الأرض فوق رؤوس الثوار الأحرار، وأنا شخصياً لن أنسى أبداً دعاء والدتي بالنصر والحماية من رب العالمين".

عدنا بحماية الثوار إلى مداخل مدينة حلب، وكلنا أمل بأن نتجول يوماً ما في هذه المدينة.. وينتابنا شعور مماثل.

المصدر: موقع صباح سوريا

المصادر: